نصب الدليل في الرد على من قال بالإشكال في التنزيل

دراسة عقدية لقوله تعالى:

(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

د. مشاعل بنت حلفان آل عايش

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حفظا من الله وتقديرا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ،وحجة الله على العالمين ،وإمام العالمين العاملين ،وعلى آله وصحبه وأزواجه الطيبين الطاهرين ،ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين .

ثم أما بعد:

إنَّ القارئ للقرآن الكريم، غير المحيط بعلومه، المعينة على بيانه وتفسيره – قد يتوهم أحيانًا أنَّ هناك إشكالا في فهم بعض الآيات أو أنها تحمل تعارضا مع آيات أخرى، إلاَّ أنَّ الواقف على علوم القرآن، المحيط بمقاصد الشريعة، يُدرك أنَّ هذا التعارض ظاهري فحسب؛ حيث لا تعارُض حقيقي بين نصوص الشريعة، وإنما أتي من قلة علمه وفهمه وفقهه، وهو بهذا المعنى مُحال في شريعتنا، فمصدرها واحد وهو الله تعالى، فإذا بدا تعارُض بين نصين، فإنما هو تعارُض ظاهري فقط، بحسب ما يبدو لعقولنا، وليس بتعارُضٍ حقيقي؛ (لأن الشارع الواحد الحكيم، لا يُمكن أن يَصدر عنه دليلٌ يَقتضي حُكمًا في واقعة، ويَصدر عنه نفسه دليلٌ آخر يَقتضي في الواقعة نفسها حُكمًا خلافه في الوقت الواحد)[1] ومما يُعين على إزالة هذا التعارُض الظاهري: الوقوف على أسباب النزول؛ وتفسير الآيات وكتب المعاجم، وشواهد السنة، فيرتفع الإشكال، ويزول اللبس، وهذا الأمر لم يكن محدثا في المتأخرين عمن سبقهم فقد ألف في هذا الفن المتقدمين، وتناولها علماء السنة في مصنفاتهم العقدية، مما يدل على ورودها على كل عقل وفكر– إلا من يشاء الله– .

ومن تلك النصوص قوله تعالى(وَلِلّه الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْه الله إِنَّ الله وَاسِع عَلِيمٌ) .[2] ومن ثَمَّ فإن هذا البحث يأتي؛ ليَدفع مثل هذا الإشكال، ويُسفر عن أهمية علوم القرآن، والتي تتمثَّل في إزالة الإشكال، وتوضيح المراد من الآية القرآنية؛ ليتبيَّن الفصل في ذلك بعون الله.

---

[1] - علم أصول الفقه؛ عبدالوهاب خلاَّف، ص (230).

[2] - سورة البقرة آية115.

أهمية البحث:

تتحدد أهمية هذا البحث فيما يأتي:

1. معرفة معنى الآية معنا تفسيريا واضحا بما في ذلك سبب النزول.

2. تحرير موضع الإشكال في الآية تحريرا عقديا، وبيان الرأي الراجح في ذلك، معضودا ذلك بمسائل الآية العقدية.

أسباب البحث:

1. تعبد الله بفهم مراده في كتابه على الوجه الصحيح.

2. كشف الإشكال عما يوهم الإشكال صيانة لجناب التوحيد في أسماء الله وصفاته في الآية.

3. معرفة المسائل العقدية التي دلت عليها الآية.

مشكلة البحث:

.ويمكن تحديد مشكلة البحث في الأسئلة التالية:

1- ما المقصود بقوله تعالى(فثم وجه الله) ؟

حدود الدراسة:

دراسة الآية دراسة عقدية بعيدة عن الإسهاب فيما يشعب البحث، معتمدة على أدلة الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وفهم السلف وتحريرهم في ذلك عن أقوال المعاصرين إلا ما لزم المقال لذكره.

منهج البحث:

أتبعت في هذا البحث المناهج التالية:

1.المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع تفاسير هذه الآية وأسباب نزولها ومعانيها اللغوية.

2.المنهج التحليلي الاستنباطي وذلك بدراسة الأقوال حول الآية ووجه الترجيح بينها.

3- الاستنباطي بدراسة المسائل العقدية المبنية على هذه الآية وإيرادها.

- وقد اتبعت في بحثي المنهج التالي:

1-تتبع بعض المؤلفات والدراسات والبحوث السابقة، والكتابات المتخصصة في هذا المجال.

وذلك بهدف :

أ-وضع الإطار النظري للبحث .

ب- جمع المادة العلمية ،للبدء في استخدام المنهج البحثي المناسب البحث.

ج- إيراد النقول والإستشهدات التي أدعم بها هذا البحث، وأشرت إلى ذلك في حواشي البحث ،لصعوبة الإتيان على كل ما كتب وأشير إليه في هذا الباب .

د - وثقت النصوص إلى مصادرها الأصلية، وعزوت الأقوال إلى قائليها.

هـ-عزوت الآيات إلى موضعها من القرآن الكريم، وخرجت الأحاديث بعزوها إلى مصادرها

الأصلية.

و-الخروج بملخص البحث، ونتائجه.

الدراسات السابقة.

1. باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن - بيان الحق أبو القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي (ت بعد 553)تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي ،سنة النشر: 1419 = 1998،عدد الأجزاء: 3

2. المقارنة بين المشكل والمتشابه في القرآن الكريم - مُحَمَّد أحمد عيد الكردي، الناشر: مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، العدد 2، سنة النشر: 1427 = 2006، عدد الأجزاء:1

3. .موهم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم، - ياسر أحمد علي الشمالي، موقع تفسير **https://www.library.tafsir.net**

خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث على النحو التالي :

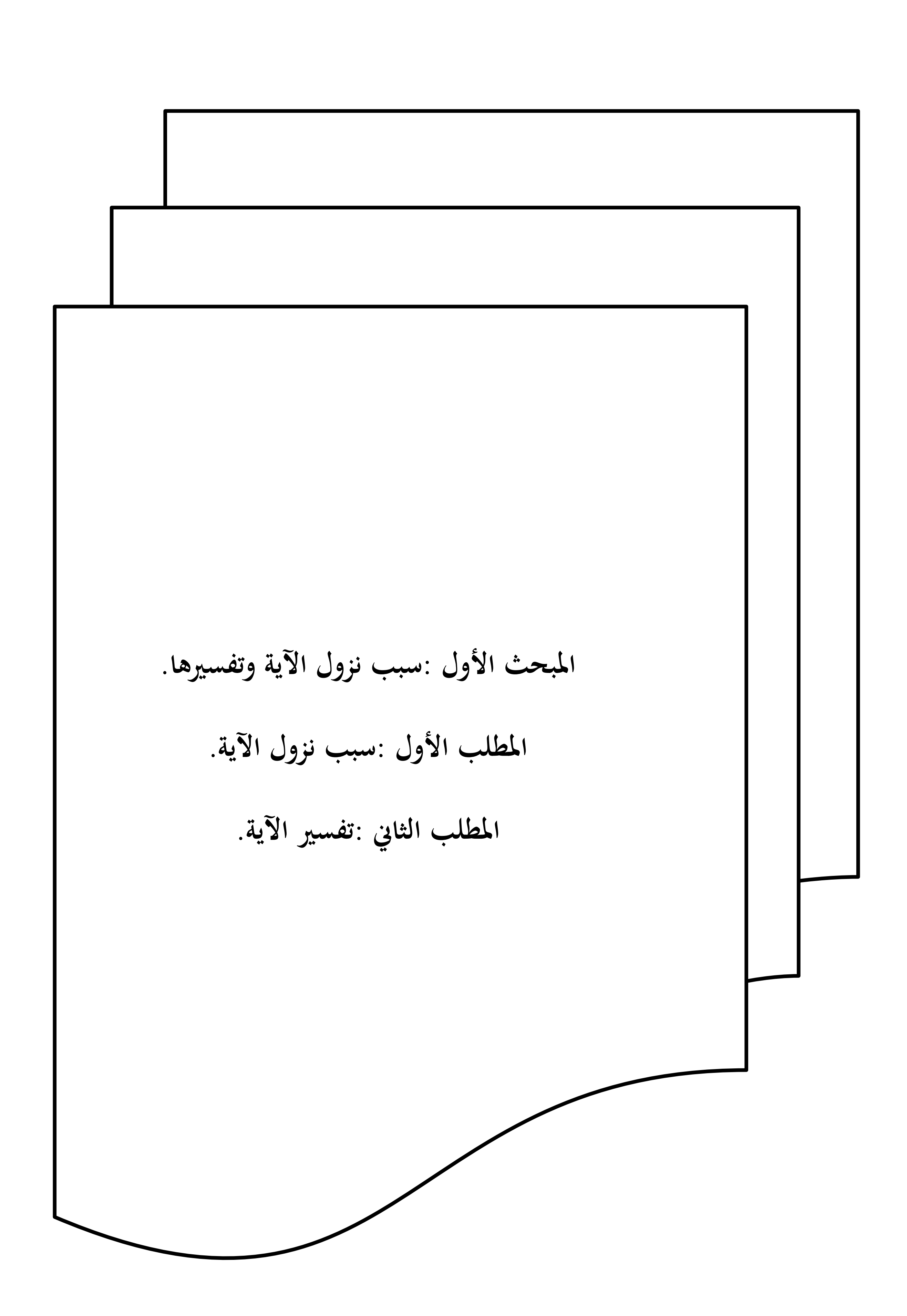
- المبحث الأول: سبب نزول الآية وتفسيرها.
  * المطلب الأول: سبب نزول الآية.
  * المطلب الثاني: تفسير الآية.
- المبحث الثاني: المسائل العقدية التي دلت عليها الآية وأقوال أهل العلم في ذلك وتحرير وجه الدلالة.
  * المطلب الأول: المسائل العقدية التي دلت عليها الآية، وأقوال أهل العلم .
  * المطلب الثاني: تحرير وجه الدلالة في الآية.
- المبحث الثالث: الراجح من أقوال أهل العلم وأدلة الترجيح والجواب على أدلة المخالفين.
  * المطلب الأول: الراجح من أقوال أهل العلم في الآية.
  * المطلب الثاني: أدلة الترجيح والجواب على المخالفين.

الخاتمة

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.

هذا ما أعان الله على إنجازه، إن رشدا فمن الله، وإن كان غير ذلك فأستغفر الله وأتوب إليه من علم قصر في توحيده، وبيان ضعف في كشف الحق عن إحكام آياته وتنزه أسمائه وصفاته.


المبحث الأول :سبب نزول الآية وتفسيرها.
المطلب الأول :سبب نزول الآية.
المطلب الثاني :تفسير الآية.

المطلب الأول :سبب نزول الآية.

التعريف بالآية:

قال تعالى(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) هذه الآية هي الآية رقم (115) من سورة البقرة ،وهذه السورة مدنية.

سبب النزول:

اختلف في سبب نزول هذه الآية على عدة أقوال، فمنهم من قال أنها بسبب تحويل القبلة إلى المسجد الحرام، ومنهم من قال إنها بسبب ظلمة منعتهم(أي الصحابة) القبلة في إحدى الغزوات ،وقيل كانوا مع رسول الله ﷺ في أحدى الغزوات فباتوا فعميت عليهم القبلة، ومنهم من قال نزلت في صلاة النافلة ،ومنهم من قال في الصلاة على الغائب وهو موت النجاشي رحمه الله[3]،وسأعرض لأبرز الأقوال في المسألة ومن هذه الأقوال ما يلي:

1(– عن جابر بن عبد الله ، قال : بعث رسول الله – ﷺ – سرية كنت فيها ، فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة ، فقالت طائفة منا : قد عرفنا القبلة ، هي هاهنا قبل الشمال . فصلوا وخطوا خطوطا . وقال بعضنا: القبلة هاهنا قبل الجنوب، فصلوا وخطوا خطوطا. فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة. فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي – ﷺ – عن ذلك فسكت، فأنزل الله تعالى: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) الآية .[4]

---

[3] - الدر المنثور ,للسيوطي,(565,566,576/3)
[4] - أسباب النزول الواحد ,رقم الحديث29,ص22

2- علي بن أبي طلحة الوالبي : إن رسول الله – ﷺ – لما هاجر إلى المدينة – وكان أكثر أهلها اليهود – أمره الله أن يستقبل بيت المقدس . ففرحت اليهود ، فاستقبلها بضعة عشر شهرا . وكان رسول الله – ﷺ- يحب قبلة إبراهيم، فلما صرفه الله تعالى إليها ارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ فأنزل الله تعالى: (فأينما تولوا فثم وجه الله) [5]

– وقال ابن عباس في رواية عطاء : إن النجاشي توفي فأتى جبريل النبي – ﷺ – فقال : إن النجاشي توفي ، فصل عليه ، فأمر رسول الله – ﷺ – أن يحضروا ، وصفهم ثم تقدم رسول الله – ﷺ – وقال لهم : " إن الله أمرني أن أصلي على النجاشي وقد توفي ، فصلوا عليه " . فصلى رسول الله وهم عليه. فقال أصحاب رسول الله – ﷺ – في أنفسهم: كيف نصلي على رجل مات وهو يصلي لغير قبلتنا. وكان النجاشي يصلي إلى بيت المقدس حتى مات وقد صرفت القبلة إلى الكعبة. فأنزل الله تعالى: (فأينما تولوا فثم وجه الله) .[6]

الراجح من أسباب النزول:

بعد استعراض أقوال المفسرين في سبب نزول الآية وتعدد الأقوال فيها فإن الراجح من أن سبب نزول الآية هو (عن ابن عباس قال ، كان أول ما نسخ من القرآن القبلة ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ، وكان أكثر أهلها اليهود ، أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود . فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا ، فكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم عليه السلام ، فكان يدعو وينظر إلى السماء ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (قد نرى تقلب وجهك في السماء) (سورة البقرة : 144) إلى قوله : (فولوا وجوهكم شطره) (سورة البقرة : 144 – 150) ، فارتاب من ذلك اليهود ، وقالوا : (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) (سورة البقرة : 142) ، فأنزل الله عز وجل : (قل لله المشرق والمغرب) ، وقال : (فأينما تولوا فثم وجه الله).[7]

وسبب الترجيح في ذلك أن هذا القول قد ورد من عدة طرق وهي:

1. ذكره ابن عباس وهو ترجمان القرآن.[8]
2. ذكره بشر بن معاذ قال : حدثنا يزيد بن زريع قال : حدثنا سعيد عن قتادة مثل ذلك .[9]

---
[5] - أسباب النزول, الواحدي ,ص22.
[6] - أسباب النزول,للواحدي,ص21.
[7] - تفسيرا لطبري ,ج2ص528
[8] - انظرتفسير الطبيري,ج2,ص528
[9] - المرجع السابق.

3. ذكره المثنى قال : حدثنا الحجاج بن المنهال قال : حدثنا همام قال : حدثنا يحيى قال ، سمعت قتادة مثل ذلك.[10]

4. ذكره يونس قال : أخبرنا ابن وهب عن زيدا(وزيد هو زيد ابن أسلم)من مفسري التابعين .[11]

معاني مفردات الآية:

(ولله المشرق والمغرب) المشرق موضع الشروق . والمغرب موضع الغروب

(فأينما تولوا فثم وجه الله) يعني أينما تحولوا وجوهكم

(إن الله واسع) أي غني يعطي من السعة ، قال الفراء : الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء[12]

حالة النص: من حيث النسخ:

1- (قوله تعالى "ولله المشرق والمغرب..."هذا محكم والمنسوخ منها قوله تعالى: "فأينما تولوا فثم وجه الله"البقرةآية115منسوخة وناسخه قوله تعالى "وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره"البقرة144) [13]

2- وقال به قتادة : قوله جل وعز : (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) ، ثم نسخ ذلك بعد ذلك ، فقال الله : (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) [14]سورة البقرة : 149 – 150

3- وممن رأى عدم نسخ الآية وبقاء حكمها ابن القيم – رحمه الله- حيث قال:(َ(عَلَى هَذَا فَالْآيَةُ بَاقِيَةٌ عَلَى عُمُومِهَا وَأَحْكَامِهَا لَيْسَتْ مَنْسُوخَةً وَلَا مَخْصُوصَةً، بَلْ لَا يَصِحُّ دُخُولُ النَّسْخِ فِيهَا، لِأَنَّهَا خَبَرٌ عَنْ مُلْكِهِ لِلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَأَنَّهُ أَيْنَ مَا وَلَّى الرَّجُلُ وَجْهَهُ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ، وَعَنْ سَعَتِهِ وَعِلْمِهِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ دُخُولُ النَّسْخِ وَالتَّخْصِيصِ فِي ذَلِكَ.)[15]

---

[10] - انظر تفسير الطبري,ج2ص 532

[11] - انظر ترجمته في : معجم المفسرين لعادل نويهض 265/1

[12] - تفسير البغوي (140/1).

[13] - الناسخ والمنسوخ في القرآن, ابن حزم ص21

[14] - انظر تفسير الطبري,ج2ص 528

[15] - مختصر الصواعق المرسلة, لابن القيم, ص415

4- الراجح – والله أعلم–أن هذه الآية غير منسوخة لبقاء حكمها في الصلاة لاسيما صلاة النافلة، أو المكتوبة عند العجز عن استقبال القبلة، والدليل على ذلك ما يلي:

1- عن ابن عمر قال :(رأيت رسول الله يصلي على حماره وهو متوجه إلى خيبر). [16]

2- عن ابن عمر قال : كان رسول الله يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه قال وفيه نزلت (فأينما تولوا فثم وجه الله)[17]

3- عن ابْنِ عُمَر قَالَ : (كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلاَم يُصَلِّي فِي السَّفَرِ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ ، يُومِئُ إِيمَاءً صَلاةَ اللَّيْلِ ، إِلا الْفَرَائِضَ ، وَيُوتِرُ عَلَى رَاحِلَتِهِ)[18]

4- عن عامر بن ربيعة قال (رأيت رسول الله يصلي على راحلته حيث توجهت به يومئ برأسه)[19]

5- عن جابر قال كان رسول الله يصلي على راحلته حيث توجهت به أي في جهة مقصده فإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل القبلة[20]

إعراب الآية:

حيث أن الإعراب يبين لنا جانبا كبيرا من المعنى المراد من الآية، قال الإمام مكي بن أبي طالب :("أَعظمُ ما يجب على الطالب لعلوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه، وفهم معانيه، ومعرفة قراءاته ولُغاته، وأفضل ما القارئ إليه مُحتاج: معرفة إعرابه، والوقوف على تصرف حركاته، وسواكنه؛ ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه، مستعيناً على أحكام اللفظ به، مُطلعاً على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهماً لما أراد الله به من عباده، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد ويُفهم الخطاب، وتصح معرفة حقيقة المراد)[21]

(ولله المشرق والمغرب)هما موضع الشروق والغروب،(فأينما)شرطية(تولوا)مجزوم به وهو الناصب لأين، والجواب فثم.[22]

16 - رواه مسلم, كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا بَابُ جَوَازِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ عَلَى الدَّابَّةِ فِي السَّفَرِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ حديث رقم 1179
17 - صحيح مسلم كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا بَابُ جَوَازِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ عَلَى الدَّابَّةِ فِي السَّفَرِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ حديث رقم 1178
18 - رواه البخاري, كتاب الوتر » باب الوتر على الدابة رقم الحديث945
19 - رواه أبو داوود في سننه, كتاب الصلاة» تفريع صلاة السفر» باب الفريضة على الراحلة من عذر,
20 - رواه البخاري ,كتاب الصلاة, باب التوجه نحو القبلة حيث كان ,رقم الحديث400, ص157
21 - مشكل إعراب القرآن 63/1
22 - التبيان في إعراب القرآن, للعكبري ,ص87

(وجه) مبتدأ. (ولفظ الجلالة) مضاف إليه والجملة في محل جزم جواب الشرط والجملة الاسمية. (إن الله واسع عليم)، جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.[23]

[23] - إعراب القرآن, قاسم دعاس ج1ص50

المطلب الثاني: تفسير الآية.

وقد رجعت في تفسير هذه الآية إلى أمهات التفاسير(إن " أمهات التفاسير" يذكر لها بعض أهل العلم أمثلة كابن جرير الطبري والقرطبي، وابن كثير. يقول الشيخ عطية مُحَّد سالم رحمه الله تعالى في شرح الأربعين النووية: من أراد الوقوف على النصوص في ذلك، فليرجع إلى أمهات التفسير مثل: القرطبي وابن كثير، وهما أوثق التفاسير، وابن جرير)[24]وقد ذكرت أبرز الأقوال عند كل مفسر بعيدا عن التكرار ومن ذلك تفسير

1- الطبري(ت310هـ): القول في تأويل قوله تعالى: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله)

قال أبو جعفر: يعني – جل ثناؤه – بقوله: (ولله المشرق والمغرب)، لله ملكهما وتدبيرهما، كما يقال: "لفلان هذه الدار"، يعني بها: أنها له، ملكا. فذلك قوله: (ولله المشرق والمغرب)، يعني أنهما له، ملكا وخلقا.

و"المشرق" هو موضع شروق الشمس ، وهو موضع طلوعها ، كما يقال لموضع طلوعها منه : "مطلع" بكسر اللام ، وكما بينا في معنى "المساجد" آنفا . فإن قال قائل : أو ما كان لله إلا مشرق واحد ومغرب واحد ، حتى قيل : (ولله المشرق والمغرب) ؟ قيل : إن معنى ذلك غير الذي ذهبت إليه ، وإنما معنى ذلك : ولله المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم ، والمغرب الذي تغرب فيه كل يوم . فتأويله إذ كان ذلك معناه: ولله ما بين قطري المشرق، وما بين قطري المغرب، إذ كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشروقها منه إلى الحول الذي بعده، وكذلك غروبها كل يوم. فإن قال : أوليس وإن كان تأويل ذلك ما ذكرت ، فلله كل ما دونه؟ الخلق خلقه! قيل : بلى! فإن قال: فكيف خص المشارق والمغارب بالخبر عنها أنها له في هذا الموضع، دون سائر الأشياء غيرها؟ قيل: قد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله خص الله ذكر ذلك بما خصه به في هذا الموضع. ونحن مبينو الذي هو أولى بتأويل الآية بعد ذكرنا أقوالهم في ذلك. فقال بعضهم : خص الله – جل ثناؤه – ذلك بالخبر ، من أجل أن اليهود كانت توجه في صلاتها وجوهها قبل بيت المقدس ، وكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك مدة ، ثم حولوا إلى الكعبة ، فاستنكرت اليهود ذلك من فعل النبي ﷺ ، فقالوا : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فقال الله تبارك وتعالى لهم : المشارق والمغارب كلها لي ، أصرف وجوه عبادي كيف أشاء منها ، فحيثما تولوا فثم وجه الله .

وأما قوله: (فأينما)، فإن معناه: حيثما. وأما قوله: (تولوا) فإن الذي هو أولى بتأويله أن يكون: تولون نحوه وإليه، كما يقول القائل: "وليته وجهي ووليته إليه"، بمعنى: قابلته وواجهته. وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لإجماع الحجة على أن ذلك تأويله ،

---

[24] - إسلام ويب, لأربعاء 16 رجب 1438 - 12-4-2017 ,رقم الفتوى: 350494, http://fatwa.islamweb.net/

وشذوذ من تأوله بمعنى : تولون عنه فتستدبرونه ، فالذي تتوجهون إليه وجه الله ، بمعنى قبلة الله . وأما قوله: (فثم) فإنه بمعنى: هنالك واختلف في تأويل قوله: (فثم وجه الله) فقال بعضهم: تأويل ذلك: فثم قبلة الله، يعني بذلك وجهه الذي وجههم إليه ذكر من قال ذلك:

– حدثنا أبو كريب قال : حدثنا وكيع ، عن النضر بن عربي ، عن مجاهد : (فثم وجه الله) قال : قبلة الله .

– حدثنا القاسم قال : حدثنا الحسين قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني إبراهيم ، عن مجاهد قال ، حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها .

وقال آخرون : معنى قول الله عز وجل : (فثم وجه الله) ، فثم الله تبارك وتعالى .

وقال آخرون : معنى قوله : (فثم وجه الله) ، فثم تدركون بالتوجه إليه رضا الله الذي له الوجه الكريم .

وقال آخرون : عنى ب "الوجه" ذا الوجه . وقال قائلو هذه المقالة : وجه الله صفة له

فإن قال قائل: وما هذه الآية من التي قبلها؟ قيل : هي لها مواصلة ، وإنما معنى ذلك : ومن أظلم من النصارى الذين منعوا عباد الله مساجده أن يذكر فيها اسمه ، وسعوا في خرابها ، ولله المشرق والمغرب ، فأينما توجهوا وجوهكم فاذكروه ، فإن وجهه هنالك ، يسعكم فضله وأرضه وبلاده ، ويعلم ما تعملون ، ولا يمنعكم تخريب من خرب مسجد بيت المقدس ، ومنعهم من منعوا من ذكر الله فيه – أن تذكروا الله حيث كنتم من أرض الله ، تبتغون به وجهه .[25]

رأي ابي جعفر الطبري – رحمه الله– في تفسير الآية

،وترجيحه أن المراد بها وجه الله قوله:(قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أن الله تعالى ذكره إنما خص الخبر عن المشرق والمغرب في هذه الآية بأنهما له ملكا ، وإن كان لا شيء إلا وهو له ملك – إعلاما منه عباده المؤمنين أن له ملكهما وملك ما بينهما من الخلق ، وأن على جميعهم إذ كان له ملكهم طاعته فيما أمرهم ونهاهم ، وفيما فرض عليهم من الفرائض ، والتوجه نحو الوجه الذي وجهوا إليه ، إذ كان من حكم المماليك طاعة مالكهم؛ فأخرج الخبر عن المشرق والمغرب ، والمراد به من بينهما من الخلق ، على النحو الذي قد بينت من الاكتفاء بالخبر عن سبب الشيء من ذكره والخبر عنه ، كما قيل : (وأشربوا في قلوبهم العجل) ، وما أشبه ذلك .

[25] -تفسير الطبري.ج2ص536

ومعنى الآية إذا : ولله ملك الخلق الذي بين المشرق والمغرب يتعبدهم بما شاء ، ويحكم فيهم ما يريد ، عليهم طاعته ، فولوا وجوهكم – أيها المؤمنون – نحو وجهي ، فإنكم أينما تولوا وجوهكم فهنالك وجهي .)[26]

2- تفسير القرطبي(ت671هـ)

(قوله تعالى : ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم فيه خمس مسائل : الأولى : قوله تعالى : ولله المشرق والمغرب المشرق موضع الشروق . والمغرب موضع الغروب ، أي هما له ملك وما بينهما من الجهات والمخلوقات بالإيجاد والاختراع ، كما تقدم . وخصهما بالذكر والإضافة إليه تشريفا، نحو بيت الله، وناقة الله، ولأن سبب الآية اقتضى ذلك، على ما يأتي، الثانية: قوله تعالى: فأينما تولوا شرط، ولذلك حذفت النون، و " أين " العاملة، و " ما " زائدة، والجواب فثم وجه الله. وقرأ الحسن تولوا بفتح التاء واللام، والأصل تتولوا. وثم في موضع نصب على الظرف، ومعناها البعد، إلا أنها مبنية على الفتح غير معربة لأنها مبهمة ، تكون بمنزلة هناك للبعد ، فإن أردت القرب قلت هنا.[27]

رأي القرطبي – رحمه الله– في تفسير الآية:

هذا الرأي له كان واضحا وصريحا في تفسيره لسورة الرحمن عند قوله تعالى(ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) آية 27 بقوله:(ويبقى وجه ربك أي ويبقى الله ، فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه ، قال الشاعر :

قضى على خلقه المنايا فكل شيء سواه فاني

وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا : ابن فورك وأبو المعالي وغيرهم . وقال ابن عباس : الوجه عبارة عنه كما قال : ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وقال أبو المعالي : وأما الوجه فالمراد به عند معظم أئمتنا وجود الباري تعالى ، وهو الذي ارتضاه شيخنا . ومن الدليل على ذلك قوله تعالى : ويبقى وجه ربك والموصوف بالبقاء عند تعرض الخلق للفناء وجود الباري تعالى . وقد مضى في (البقرة) القول في هذا عند قوله تعالى : فأينما تولوا فثم وجه الله وقد ذكرناه في (الكتاب الأسنى) مستوفى . قال القشيري : قال قوم هو صفة زائدة على الذات لا تكيف ، يحصل بها الإقبال على من أراد الرب تخصيصه بالإكرام . والصحيح أن يقال : وجهه وجوده وذاته ، يقال : هذا وجه الأم ووجه الصواب وعين الصواب . وقيل : أي يبقى الظاهر بأدلته

---

[26] - تفسير الطبري,ج2ص534
[27] - تفسير القرطبي,ج2ص81

كظهور الإنسان بوجهه . وقيل : وتبقى الجهة التي يتقرب بها إلى الله)[28].فكان القرطبي ممن يتأول صفة الوجه ولا يثبتها ويقول أن المراد بها وجوده وذاته.

-3تفسير البغوي(ت 516هـ):

(ولله المشرق والمغرب) ملكا وخلقا (فأينما تولوا فثم وجه الله) يعني أينما تحولوا وجوهكم فثم أي : هناك (رحمة) الله ، قال الكلبي : فثم الله يعلم ويرى والوجه صلة كقوله تعالى : "كل شيء هالك إلا وجهه " (88 - القصص) أي إلا هو ، وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان : فثم قبلة الله ، والوجه والوجهة والجهة القبلة ، وقيل : رضا الله تعالى (إن الله واسع) أي غني يعطي من السعة ، قال الفراء : الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء قال الكلبي : واسع المغفرة (عليم) بنياتهم حيثما صلوا ودعوا) . [29]

البغوي – رحمه الله- حمل الآية على معناها الذي تؤول إليه فقال:(هناك (رحمة) الله) ولكنه صرح في كتابه في "شرح السنة " بقوله :(والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل من صفات الله تعالى؛ كالنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح)[30] فهو يثبت الصفات كما ورد بها الدليل.

4- تفسير ابن كثير(ت 774هـ):وهذا والله أعلم فيه تسلية للرسول ﷺ وأصحابه الذين أخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم ومصلاهم ، وقد كان رسول الله ﷺ يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه . فلما قدم المدينة وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، ثم صرفه الله إلى الكعبة بعد، ولهذا يقول تعالى: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله).[31]

ثم ذكر قول ابن عباس في الآية وهو قال عكرمة عن ابن عباس : (فأينما تولوا فثم وجه الله) قال : قبلة الله أينما توجهت شرقا أو غربا . وقال مجاهد: (فأينما تولوا فثم وجه الله) قال: قبلة الله حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها: الكعبة. [32]

وابن كثير–رحمه الله- لم يذكر قوله في هذه الآية ولكنه اكتفى بذكر الأقوال، وهو ممن يعلم من منهجه حمل نصوص الصفات على ظاهرها كما ورد بها الدليل.

---

[28] - تفسير القرطبي, ص 532
[29] - تفسير,البغوي,ج1ص141
[30] - شرح السنة. البغوي, (168/1):
[31] - تفسير ابن كثير, ج1ص391
[32]- نفس المصدر

المبحث الثاني :المسائل العقدية التي دلت عليها الآية وأقوال أهل العلم في الآية.

المطلب الأول :المسائل العقدية التي دلت عليها الآية.

المطلب الثاني .:أقوال أهل العلم في الآية.

المطلب الأول: 1)المسائل العقدية التي دلت عليها الآية.

هذه الآية حوت عددا من المسائل العقدية المهمة والتي أشار إليها بعض أهل العلم في مصنفاتهم أما على باب الاستدلال أو الرد ومن هذه المسائل ما يلي:

1. ما ذكره ابن القيم في كتابه الصواعق المرسلة ومنها:

* ◌نَّ الصَّحِيحَ فِي قَوْلِهِ : (فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) أَنَّهُ كَقَوْلِهِ فِي سَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا الْوَجْهُ، فَإِنَّهُ قَدِ اطَّرَدَ مَجِيئُهُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مُضَافًا إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَمَعْنًى وَاحِدٍ، فَلَيْسَ فِيهِ مَعْنَيَانِ مُخْتَلِفَانِ فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ غَيْرَ الْمَوْضِعِ الَّذِي ذُكِرَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ : (فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) وَهَذَا لَا يَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَى الْقِبْلَةِ وَالْجِهَةِ، وَلَا يُمْتَنَعُ أَنْ يُرَادَ بِهِ وَجْهُ الرَّبِّ حَقِيقَةً، فَحَمْلُهُ عَلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ كَنَظَائِرِهِ كُلِّهَا أَوْلَى.[33]

وفيما سبق يقرر ابن القيم مسألة إثبات الآية لصفة الوجه الحقيقي لله سبحانه وتعالى، وأنها من آيات الصفات.

* (هَذِهِ الْآيَةُ ذُكِرَتْ مَعَ مَا بَعْدَهَا لِبَيَانِ عَظَمَةِ الرَّبِّ وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ جَعَلَ لِلَّهِ عِدْلًا مِنْ خَلْقِهِ أَشْرَكَهُ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ، وَلِهَذَا ذَكَرَ بَعْدَهَا الرَّدَّ عَلَى مَنْ جَعَلَ لَهُ وَلَدًا فَقَالَ تَعَالَى : ("وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ "

* أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنِ الْجِهَاتِ الَّتِي تَسْتَقْبِلُهَا الْأُمَمُ مُنَكَّرَةً مُطْلَقَةً غَيْرَ مُضَافَةٍ إِلَيْهِ، وَأَنَّ الْمُسْتَقْبِلَ لَهَا هُوَ مُوَلِّيهَا وَجْهَهُ لَا أَنَّ اللَّهَ شَرَعَهَا لَهُ وَأَمَرَهُ بِهَا.

* أَنَّ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ أَوْلَى التَّفَاسِيرِ مَا وُجِدَ إِلَيْهِ السَّبِيلُ، وَلِهَذَا كَانَ يَعْتَمِدُهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَالْأَئِمَّةُ بَعْدَهُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ الْقِبْلَةَ بِاسْمِ الْقِبْلَةِ وَالْوِجْهَةِ، وَذَكَرَ وَجْهَهُ الْكَرِيمَ بِاسْمِ الْوَجْهِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، فَتَفْسِيرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِنَظَائِرِهِ هُوَ الْمُتَعَيِّنُ.

---

[33] - مختصر الصواعق المرسلة, لابن القيم, من ص414

* أَنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ وَجَدْتَهَا مُفَسِّرَةً لِلْآيَةِ، مُشْتَقَّةً مِنْهُ كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يَسْتَقْبِلُ رَبَّهُ ")[34]

2. ما ذكره محمد صالح العثيمين في تفسيره لسورة البقرة:

* (من فوائد الآية: انفراد الله بالملك؛ لتقديم الخبر في قوله تعالى: (ولله المشرق والمغرب).

* ومنها: عموم ملك الله؛ لأن المشرق والمغرب يحتويان كل شيء.

* ومنها: إحاطة الله تعالى بكل شيء؛ لقوله تعالى:(فأينما تولوا فثم وجه الله).

* ومنها: عموم ملك الله تعالى للمشرق، والمغرب خلقاً وتقديراً؛ وله أن يوجه عباده إلى ما شاء منهما من مشرق ومغرب؛ فله ملك المشرق والمغرب توجيهاً؛ وقد سبق أن قوله تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها...) (البقرة: 106) إلى آيات نسخ القبلة كله تمهيد لتحويل القبلة؛ فكأن الله تعالى يقول: لله المشرق والمغرب فإذا شاء جعل اتجاه القبلة إلى المشرق؛ وإذا شاء جعله إلى المغرب؛ فأينما تولوا فثم وجه الله.

* ومنها: إثبات الوجه لله سبحانه وتعالى؛ لقوله تعالى: (فثم وجه الله).

* ومنها: أن الله تعالى له مكان لقوله تعالى: (فثم)؛ لأن «ثم» إشارة إلى المكان؛ ولكن مكانه في العلو؛ لا يحيط به شيء من مخلوقاته؛ قال النبي ﷺ للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء».

* ومنها: إبطال بدعتين ضالتين؛

إحداهما بدعة الحلولية القائلين بأن الله تعالى في كل مكان بذاته؛ فإن قول هؤلاء باطل يبطله السمع، والعقل، والفطرة أيضاً؛

الثانية: قول النفاة المعطلة الذين يقولون: إن الله لا داخل العالم، ولا خارجه؛ ولا فوق العالم، ولا تحته؛ ولا يمين العالم، ولا شمال العالم، ولا متصل بالعالم، ولا منفصل عن العالم؛ وهذا القول قال بعض أهل العلم: لو قيل لنا: صفوا لنا العدم ما وجدنا وصفاً أدق من هذا.)[35]

---

[34] - مختصر الصواعق المرسلة, لابن القيم, من ص414-419

[35] - تفسير القرآن ,بن عثيمين. موقع أهل الحديث والأثر https://alathar.net

وذلك أن الحلولية من الجهمية كانوا على قسمين فمنهم من راى الله في جميع المخلوقات والأماكن الطاهرة وغيرها- تعالى الله عن ذلك- ومنهم من بالغ في التنزيه حتى وصل إلى النفي والتعطيل ،وكلا الفريقين ضال في اجتهاده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يبينون فساد قول الجهمية سواء قالوا : إنه في كل مكان أو قالوا : لا داخل العالم ولا خارجه أو قالوا : إنه في العالم أو خارج العالم إذ جماع قولهم أنه ليس مباينا للعالم مختصا بما فوق العالم .

ثم هم مع هذا مضطربون يقولون هذا تارة وهذا تارة ولا يمكن بعض طوائفهم أن يفسد مقالة الأخرى لاشتراكهم في الأصل الفاسد .

ولهذا كان الحلولية والاتحادية منهم الذين يقولون : إنه في كل مكان يحتجون على النفاة منهم الذين يقولون : ليس مباينا للعالم ولا مداخلا له بأنا قد اتفقنا على أنه ليس فوق العالم وإذا ثبت ذلك تعين مداخلته للعالم إما أن يكون وجوده وجود العالم أو يحل في العالم أو يتحد به كما قد عرف من مقالاتهم .

والذين أنكروا الحلول والاتحاد من الجهمية ليست لهم على هؤلاء حجة إلا من جنس حجة المثبتة عليهم وهو قول المثبتة : إن ما لا يكون لا داخلا ولا مباينا غير موجود فإن أقروا بصحة هذه الحجة بطل قولهم وإن لم يقروا بصحتها أمكن إخوانهم الجهمية الحلولية أن لا يقروا بصحة حجتهم إذ هما من جنس واحد)[36] .ويكون الرد عليهم بنصوص الوحي التي تثبت العلية والفوقية له سبحانه (ما صحة القول بأن الذي جعل الذين يقولون بالحلول هو قوله تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) ، وقوله تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)الحديد:4، وقوله تعالى: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)البقرة:115، وما هو الرد الصحيح عليهم؟

الجواب

نعم هذا من شبههم، كما ذكر الإمام أحمد في الرد على الزنادقة والملاحدة، قال: إنهم وجدوا هذه الآيات: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ) الأنعام:3 لكن ضلوا، ومعنى الآية: وهو الله سبحانه يعلم، فقيدها بالعلم، فالله سبحانه وتعالى يعلم سركم وجهركم، وعلمه في السماء كما أن علمه في الأرض، فعلمه في السماء والأرض، وأما هو سبحانه فهو فوق العرش؛ لأن نصوص الاستواء والعلو محكمة، فلا يتعلق الإنسان بالمتشابه

---

36 - درء تعارض العقل والنقل, ابن تيمية (148/6)

قال الله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) الأعراف:54، وقال تعالى: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) الأنعام:18، وقال: (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) البقرة:255، وقال: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) الأعلى:1، وقال: (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ) النحل:50، وقال: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) الأعراف:54 في سبعة مواضع من كتاب الله، وقال: (أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)الملك:16.)[37]

* ومن فوائد الآية: إثبات اسمين من أسماء الله؛ وهما: (واسع)، و(عليم).

* ومنها: إثبات سعة الله، وعلمه؛ ونستفيد صفة ثالثة من جمع السعة والعلم؛ للإشارة إلى أن علم الله واسع بمعنى أنه لا يفوته شيء من كل معلوم لا في الأرض، ولا في السماء.[38]

3. أيضا من هذه المسائل:

* أن في قوله تعالى(ولله المشرق والمغرب...)دلالة ملكه لهما ولما بينهما، والملك يحق له أن يستخلف من يشاء متى شاء ولذلك جعل الله ابن آدم خليفته في الأرض فقط وهي جزء من ملكه كما دل قوله تعالى(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[39]

* في قوله تعالى(فأين ما تولوا فثم وجه الله..) بعث للطمأنينة والسكينة باستشعار العبد عظمة خالقه فإنه مع علوه سبحانه فهو محيط بملكه وماقيه من خلقه.

* في قوله تعالى(إن الله واسع عليم)أنه مع سعة ما بين المشرق والمغرب، فإن سعة الله وعلمه أعظم من ذلك.

* في قوله تعالى(عليم)(صيغة مبالغة من علِمَ/ علِمَ بـ: كثير العلم، ذو علم عميق، فائق في العلم)[40]وذلك أمر يبعث العبد على لزوم الصلاح ،وتحري الحق في قوله وفعله، لإحاطة من خلقه بسره و علانيته. (فعلم الله تعالى: علمٌ بما كـان، وما هو كـائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون. أحـاط علمه سبحانه وتعالى بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها. فاسم الله تعالى العليم، أشتمل على مراتب العلم الإلهي وهي أربعة: 1- علمه بالشيء قبل كونه، وهو سر الله في خلقه، لا يعلمه ملكٌ مُقرَّب ولا نبيٌّ مُرسل .. ويُسمى علم التقدير ومفتاح ما سيصير، ومن هم أهل الجنة ومن هم أهل السعير؟ فكل أمور الغيب قدرها الله في الأزل ومفتاحها عنده وحده ولم يزل.. لذلك قال تعالى {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ} [الأنعام:59]، وقال سبحـانه {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا

---

[37] - دروس في العقيدة, عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي(16/3)

[38] - تفسير القرآن ,بن عثيمين. موقع أهل الحديث والأثر https://alathar.net

[39] - سورةالبقرة,آية30

[40] معجم اللغة العربية المعاصرة, - http://www.arabdict.com

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان:34]. 2- علمه بالشيء وهو في اللوح المحفوظ بعد كتابته وقبل إنفاذ أمره ومشيئته. فالله عزَّ وجلَّ كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة، والمخلوقات في اللوح قبل إنشائها عبارة عن كلمات .. يقول الله جلَّ وعلا: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج:70] .. وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد:22]. 3- علمه بالشيء حال كونه وتنفيذه ووقت خلقه وتصنيعه. يقول الله تعالى {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَار . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد:8،9]، وقال تعالى {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ} [سبأ:2]. 4- علمه بالشيء بعد كونه وتخليقه وإحاطته بالفعل بعد كسبه وتحقيقه. فالله عزَّ وجلَّ يعلم ما سيفعل المخلوق بعد خلقه، ويعلم تفاصيل أفعاله وخواطره وحديث نفسه، يقول تعالى {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [التوبة:78]. وتلك المراتب الأربع السابقة.. ذُكِرت في قول الله جلَّ وعلا {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام:59]. فالله سبحـانه وتعالى عـالمٌ بكل شيءٍ في كل وقتٍ وفي كل حيـن.)[41]

* (إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) هذا الختم للآية في غاية المناسبة؛ لأنه فتح لهم ووسع لهم في التوجه بظاهر الآية، فناسب أن يعقبه بقوله: إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.

* أن وجه الله كونه صفة من الصفات يلزم الإيمان بها على الوجه الذي وردت به في الكتاب والسنة ،فإن رؤية وجهه سبحانه وتعالى كذلك نوعا من أنواع النعيم المعطى للمؤمنين في الجنة قال تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة) [42] عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وهي الزيادة ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ).[43]

[41] - شرح وأسرار الأسماء الحسنى - (8) اسم الله (العليم),هاني حلمي,رابط المادة: http://iswy.co/e12g3f
[42] -) سورة القيامة, آية22-23
[43] - رواه مسلم كِتَابُ الْإِيمَانَ بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حديث رقم 298

* أن في قوله تعالى (فأين ما تولوا فثم وجه الله) دلالة إشارية إلى السعي في الأرض وعمارتها وطلب الرزق مقترنا ذلك بحسن التوكل على الله وقصده في الطلب ،ومعيته سبحانه مع عبده أين ما كان ،قال تعالى:((وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ)[44]

* (فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع) يوسع قلب من يشاء من عباده بالهدى ولزوم الحق، فكما أن المشارق والمغارب قد تضيق في أماكن وتتسع في أخرى، فكذلك القلوب تضيق وتتسع بهدى الله وتوفيقه .

* أن اسم الله الواسع يقول فيه الخطابي رحمه الله: (الواسع: هو الغني الذي وسع غناه مفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه، والسعة في كلام العرب: الغنى. ويقال: الله يعطي عن سعة أي عن غنى)),[45]ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: (الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم)[46]

---

[44] - سورة المزمل ,آية 20

[45] - شأن الدعاء, للخطابي ص72

[46] - تفسير السعدي(5/631)

2)أقوال أهل العلم في الآية

قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

هل قوله تعالى : فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ من باب الصفات أم لا ؟

اختلف علماء أهل السنة والجماعة في دلالة الآية على قولين(وكلا الفريقين يقر ويثبت صفة الوجه لله سبحانه وتعالى)على الوجه الذي وردت به نصوص الوحي، فمنهم من رأى أنها من آيات الصفات ،وأن الوجه المذكور فيها هو وجه الله على الحقيقة، ومنهم من رأى أن المراد بذلك القبلة وحمل الآية على ظاهرها. كما أن المخالفين لأهل السنة كالمعتزلة كان لهم رأي حول صفة الوجه ،فمن أقوال أهل السنة ما يلي:

1- أدلة الفريق الأول القائلين أنها من آيات الصفات وهم:

- ابن خزيمة قال:(أثبت الله لنفسه وجها وصفة بالجلال والإكرام، وحكم لوجهه بالبقاء، ونفى الهلاك عنه)[47]

- البيهقي (بَابُ ذِكْرِ آيَاتٍ وَأَخْبَارٍ وَرَدَتْ فِي إِثْبَاتِ صِفَةِ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالْعَيْنِ وَهَذِهِ صِفَاتٌ طَرِيقُ إِثْبَاتِهَا السَّمْعُ، فَنُثْبِتُهَا لِوُرُودِ خَبَرِ الصَّادِقِ بِهَا وَلَا نُكَيِّفُهَا. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) ، فَأَضَافَ الْوَجْهَ إِلَى الذَّاتِ، وَأَضَافَ النَّعْتَ إِلَى الْوَجْهِ، فَقَالَ: (ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)، وَلَوْ كَانَ ذِكْرُ الْوَجْهِ صِلَةً، وَلَمْ يَكُنْ لِلذَّاتِ صِفَةٌ لَقَالَ: «ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» ، فَلَمَّا قَالَ: (ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)عَلِمْنَا أَنَّهُ نَعْتٌ لِلْوَجْهِ وَهُوَ صِفَةٌ لِلذَّاتِ،).[48]

- الإمام عبيد الله بن مُحَّد بن بطة قال :(الله عز و جل وصف نفسه بما شاء ثم وصف خلقه بمثل تلك الصفات في الأسماء والصفات واحدة وليس الموصوف بها مثله، قال الله عز وجل فأينما تولوا فثم وجه الله)[49]

- قال ابن القيم : الصحيح في قوله تعالى :(فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ أنه كقوله في سائر الآيات التي ذكر فيها الوجه ، فإنه قد اطرد مجيئه في القرآن والسنة مضافاً إلى الرب تعالى ، على طريقة واحدة ، ومعنى واحد ، فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع غير الموضع

[47] - التوحيد وإثبات الصفات, لابن خزيمة,ص25

[48] - الإعتقادللبيهقي,ص88

[49] - الإبانة لابن بطة (319/3):

الذي ذكر في سورة البقرة ، وهو قوله : فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ، وهذا لا يتعين حمله على القبلة والجهة ، ولا يمتنع أن يراد به وجه الرب حقيقة، فحمله على غير القبلة كنظائره كلها أولى)[50]

- عبد الرحمن السعدي قال (إثبات الوجه لله تعالى، على الوجه اللائق به تعالى، وأن لله وجها لا تشبهه الوجوه، وهو – تعالى – واسع الفضل والصفات عظيمها، عليم بسرائركم ونياتكم.) .[51]

- ابن عثيمين قال(ولكن الصحيح أن المراد بالوجه هنا : وجه الله الحقيقي ، إلى أي جهة تتجهون فثم وجه الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الله محيط بكل شيء ، ولأنه ثبت عن النبي ﷺ أن المصلي إذا قام يصلي فإن الله قبل وجهه ، ولهذا نهى أن يبصق أمام وجهه ؛ لأن الله قِبَل وجهه فإذا صليت في مكان لا تدري أين القبلة واجتهدت وتحريت وصليت وصارت القبلة في الواقع خلفك فالله يكون قبل وجهه حتى في هذه الحالة . وهذا معنى صحيح موافق لظاهر الآية والمعنى الأول لا يخالفه في الواقع. وحينئذ يكون المعنيان لا يتنافيان . واعلم أن هذا الوجه العظيم الموصوف بالجلال والإكرام وجه لا يمكن الإحاطة به وصفاً ، ولا يمكن الإحاطة به تصوراً ، بل كل شيء تُقَدره فإن الله تعالى فوق ذلك وأعظم . " ولا يحيطون به علماً"). [52]

2- أدلة الفريق الثاني القائلين أن هذه الآية ليست من آيات الصفات وهم :

- ابن عباس(حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ ثنا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْكِلابِيُّ عَنْ نَضْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ قِبْلَةُ اللَّهِ أَيْنَمَا تَوَجَّهْتَ شَرْقًا أَوْ غَرْبًا.) [53]

- ومجاهد قال (حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها قال، الكعبة.) . [54]

- ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية قال: (ليست هذه الآية من آيات الصفات ومن عدها في الصفات فقد غلط) [55]

وقد اختلف هؤلاء الذين أخرجوها من آيات الصفات في معناها على أقوال:

---

[50] - مختصر الصواعق المرسلة (392)
[51] - تيسير الكريم المنان، لابن سعدي،ج1ص64
[52] - شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (1 / 243 – 245)
[53] - تفسير ابن أبي حاتم ج1ص212
[54] - نفس المصدر
[55] - مجموع الفتاوى (193/3)

القول الأول: أن معناها فثم قبلة الله، قالوا: والوجه يأتي في اللغة بمعنى الجهة، يقال: وِجْهَة ووجه وَجِهَة. وممن روي عنه هذا القول :

- والشافعي قال(فثم الوجه الذي وجهكم الله إليه) .[56]

والوجه هو الجهة ؛ يقال أي وجه تريده ؟ أي أي جهة وأنا أريد هذا الوجه أي هذه الجهة كما قال تعالى:)ولكل وجهة هو موليها (ولهذا قال:) فأينما تولوا فثم وجه الله (أي تستقبلوا وتتوجهوا والله أعلم([57]

- أن معنى الآية فثم رضا الله وثوابه حكاه الطبري دون نسبة .[58]

قول المخالفين لأهل السنة في إثبات صفة الوجه وهم المعتزلة ما يلي:

وهذا قول المعتزلة(يقول القاضي عبدالجبار: "المراد بالوجه في قوله تعالى: ... (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) أي: ذاته، والوجه بمعنى الذات مشهور في اللغة، يقال: وجه هذا الثوب جيد، أي: ذاته جيدة...)[59] ، ونُسب للكلبي (أن وجه الله لا هو الله ولا هو غيره وهو صفة له وكذا لك يداه وعينه وبصره صفة له).[60]

---

[56] - التوحيد, لابن منده ص480
[57] -مجموع الفتاوى, لابن تيميةج3,ص193
[58] - جامع البيان للطبري (553/1)
[59] - شرح الأصول الخمسة,عبدالجبارص227
[60] - مقالات الإسلاميين ,للأشعري,ج1ص218

المبحث الثالث :الراجح من أقوال أهل العلم وأدلة الترجيح التي يرد بها على المخالفين وتحرير وجه الدلالة.

المطلب الأول :الراجح من أقوال أهل العلم في الآية.

المطلب الثاني :أدلة الترجيح التي يرد بها على المخالفين,وتحرير وجه الدلالة.

المطلب الأول: الراجح من أقوال أهل العلم في الآية

هذه الآية تعددت الأقوال فيها في قوله تعالى(فثم وجه الله) على ما سبق ذكره، والراجح من الأقوال هو أن المقصود(وجه الله)على الحقيقة ،وذلك لتظافر الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك.

وممن قال بهذا من أهل العلم ما يلي:

- أبو عثمان بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي:(وسنذكر في ذكر الوجه آيات وآثارا مسندة ليعرضها أهل المعرفة بالله على تفسيرك هل يحتمل شيئا منها شيء منه فإن كنت لا تؤمن بها فخير منك وأطيب من عباد الله المؤمنين من قد آمن بها وأيقن، قال الله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام كل شيء هالك إلا وجهه إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى فأينما تولوا فثم وجه الله إنما نطعمكم لوجه الله فالخيبة لمن كفر بهذه الآيات كلها أنها ليست بوجه الله نفسه)[61]

- ورجح ذلك أيضا ابن جرير الطبري في تفسيره الآية بقوله(وأما قوله: (تولوا) فإن الذي هو أولى بتأويله أن يكون: تولون نحوه وإليه، كما يقول القائل: "وليته وجهي ووليته إليه"، بمعنى: قابلته وواجهته. وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لإجماع الحجة على أن ذلك تأويله ، وشذوذ من تأوله بمعنى : تولون عنه فتستد برونه ، فالذي تتوجهون إليه وجه الله ، بمعنى قبلة الله).[62]

- ورجحه ابن القيم بقوله:(الصحيح في قوله فثم وجه الله أنه كقوله في سائر الآيات التي فيها ذكر الوجه فإنه قد اطرد مجيئه في القرآن والسنة مضافا إلى الرب تعالى على طريقة واحدة ومعنى واحد فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع غير الموضع الذي ذكره في سورة البقرة وهو قوله فثم وجه الله وهذا لا يتعين حمله على القبلة أو الجهة ولا يمنع أن يراد به وجه الرب حقيقة فحمله على موارده ونظائره كلها أولى ومنها أنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعا ولا عرفا بل القبلة لها اسم يخصها والوجه له اسم يخصه فلا يدخل أحدهما على الآخر ولا يستعار اسمه له)[63]

- وقال به السعدي رحمه الله:(إثبات الوجه لله تعالى، على الوجه اللائق به تعالى، وأن لله وجها لا تشبهه الوجوه، وهو – تعالى – واسع الفضل والصفات عظيمها، عليم بسرائركم ونياتكم)[64]

---

[61] - أنظر رد الدارمي على المريسي, للدارمي ص1587ومايليها.
[62] - تفسير الطبري,ج2ص535
[63] - مختصر الصواعق المرسلة (392)
[64] - تيسير الكريم المنان, لابن سعدي ص64

- رجحه بن عثيمين في أحد قوليه :(فالمراد بالوجه : الجهة ، أي : فثمَّ جهة الله أي فثم الجهة التي يقبل الله صلاتكم إليها . قالوا : لأنها في حال السفر إذا صلى الإنسان النافلة فإنه يصلي حيث كان وجهه . ولكن الصحيح أن المراد بالوجه هنا : وجه الله الحقيقي ، إلى أي جهة تتجهون فثم وجه الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الله محيط بكل شيء ، ولأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المصلي إذا قام يصلي فإن الله قبل وجهه ، ولهذا نهى أن يبصق أمام وجهه ؛ لأن الله قِبَل وجهه فإذا صليت في مكان لا تدري أين القبلة واجتهدت وتحريت وصليت وصارت القبلة في الواقع خلفك فالله يكون قبل وجهه حتى في هذه الحالة . وهذا معنى صحيح موافق لظاهر الآية والمعنى الأول لا يخالفه في الواقع. وحينئذ يكون المعنيان لا يتنافيان.[65]

- كما رجح ذلك أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على الرازي بقوله:(الوجه الثالث: أن يقال: بل هذه الآية دلت على الصفة كغيرها، وذلك هو ظاهر الخطاب، وليست مصروفة عن ظاهرها، وإن كانت مع ذلك دالة على استقبال قبلة مخلوقة، ونجزم بذلك فلا نسلم أنها مصروفة عن ظاهرها، ولفظ "الوجه" هو صفة الله، فما الدليل على وجوب تأويلها، وقوله فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ فيه الإشارة إلى وجه الله بأنه ثمَّ، والله تعالى يشار إليه كما تقدم تقرير هذا)[66]

---

[65] - شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (1 / 243 – 245

[66] - نقض التأسيس, ابن تيمية .(86/3)

المطلب الثاني: أدلة الترجيح التي يرد بها على المخالفين. وتحرير وجه الدلالة.

بتتبع أراء الفريقين وأدلتهم فإن الترجيح لأيهما يثقل بما كان موافقا للكتاب والسنة، معتضدا بلغة العرب التي فهم بها السلف مدلول النصوص بحملها على ظاهرها لاسيما إن كانت من آيات الأسماء والصفات، وعدم تأويلها عما أريد بها، وتقديم قول الفريق الأول بكون الآية من آيات الصفات ،لتعاضد القرائن، وتوالي الشواهد.

(الخلاف عند أهل السنة في مثل هذه الآية ليس خلافاً في قضية اعتقادية إطلاقاً وإنما غاية ما في الأمر أنه اختلاف في المعنى والتفسير فقط، وغاية ما يقال عن أحد الفريقين بأنه أخطأ في تفسير الآية كأي خطأ في التفسير ليس له علاقة بالاعتقاد بحيث يقال: هذا أَوَّلَ وهذا نفى وهذا أثبت؛ لأنهم يثبتون صفة الوجه من الأدلة الكثيرة الأخرى في الكتاب والسنة فهم مثبتون هذا الأمر مقرون به، ولكنهم اختلفوا في آية هل هي تدل عليه أو لا تتعلق به أصلاً مع إثبات صفة الوجه، فهذا اختلاف في التفسير فقط)[67]

وتأخير رأي الفريق الثاني لا يحمل ذلك على نقص عدالتهم، أو الطعن فيهم، ولهم سبقهم في خدمة هذا الدين، والذود عنه، ولكنهم اجتهدوا فأخطأوا، ورجحوا فعدلوا عن الراجح إلى المرجوح لأمر بدا لهم .

ومن الأدلة على ترجيح قول الفريق الأول وهم القائلون أن المراد بقوله تعالى(فثم وجه الله)هو وجهه الحقيقي، وأنها بذلك تحمل على آيات الصفات والتي يرد بها على المخالفين ما يلي:

بعد استعراض الأقوال السابقة في المباحث المتقدمة ،وبالعودة إلى تفسير القرآن بالقرآن وبسنة الرسول ﷺ، ومعاجم اللغة العربية تبين أن قوله تعالى : (فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) هو من باب الصفات ، وأن المراد وجه الله الحقيقي دون تأويل للصفة ،أو صرف للفظ عن ظاهره .وذلك من خلال ما يلي:

[67] - شرح كتاب المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير سورة البقرة, د. خالد السبت. https://khaledalsabt.com

1- من القرآن:

أن الله تعالى ذكر في القرآن القبلة باسم القبلة والوجهة ، وذكر وجهه الكريم باسم الوجه المضاف إليه سبحانه ، فتفسيره في هذه الآية بنظائره من الآيات هو الأولى قال تعالى(وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ)[68] ،وقال تعالى:(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) [69] ،وقال تعالى(وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) [70]وقوله تعالى:(وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ)[71] لأنه من تفسير القرآن بعضه ببعض وهو أولى التفاسير .وصفة الوجه من الصفات الذاتيةالخبرية التي وردالدليل بها ولامجال للعقل فيها ،فوجب الإيمان بها على الوجه الذي وردت به.

2- من السنة :

- قوله:(إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه) .[72]

– وقوله: (إن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا؛ فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت) .[73]

– وقوله: (إن الرجل إذا قام يصلي أقبل الله عليه بوجهه حتى ينقلب أو يحدث سوء) .[74]

- قال النبي -ﷺ- لسعد بن أبي وقاص: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها" .[75]

- وكذلك قول النبي صلّى الله عليه وسلّم في الدعاء المأثور: "وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك" [76]

3- من اللغة :

---

[68] - - سورة الرحمن ,آية27.

[69] - - سورة القصص, آية 88

[70] - سورة البقرة, آية 272

[71] - سورةالرعد,آية22

[72] - أخرجه البخاري عن ابن عمر، في كتاب الصلاة ، باب حك البزاق باليد من المسجد ، حديث (406) ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها ، حديث (547).

[73] - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، - من حديث الحارث الأشعري - حديث (17139) (178/4) .والترمذي في كتاب الأمثال ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة ، حديث (2863) ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (2 / 379) ، وصحيح الجامع ، ص (355) ، رقم (1724) .

[74] - أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب المصلي يتنخم ، حديث (1023) .

[75] - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى (20/1)، رقم: (56)، ومسلم، كتاب الهبات، باب الوصية بالثلث (1250/3)، رقم: (1628).

[76] - أخرجه النسائي (54/3 ، 55) ، وفي الكبرى (1228 ، 1229) ، وهذا لفظه وأحمد (264/4) ، وابن أبي شيبة (7/53-54) ، وعبد الرزاق (1947) ، وابن خزيمة في التوحيد (ص : 12) ، والحاكم (524/1) ، والبيهقي في الأسماء (ص : 120) ، والحديث صححه الحاكم و وافقه الذهبي.

وجه: الوجه: معروف، والجمع الوجوه. وحكى الفراء : حي الوجوه وحي الأوجه . قال ابن السكيت : ويفعلون ذلك كثيرا في الواو إذا انضمت . وفي الحديث : أنه ذكر فتنا كوجوه البقر أي يشبه بعضها بعضا ؛ لأن وجوه البقر تتشابه كثيرا ؛ أراد أنها فتن مشتبهة لا يدرى كيف يؤتى لها . قال الزمخشري : وعندي أن المراد تأتي نواطح للناس ، ومن ثم قالوا نواطح الدهر لنوائبه .

ووجه كل شيء : مستقبله وفي التنزيل العزيز : فأينما تولوا فثم وجه الله ؛ وفي حديث أم سلمة : أنها لما وعظت عائشة حين خرجت إلى البصرة قالت لها : لو أن رسول الله – ﷺ – عارضك ببعض الفلوات ناصة قلوصا من منهل إلى منهل قد وجهت سدافته وتركت عهيداه في حديث طويل ، قولها : وجهت سدافته أي أخذت وجها هتكت سترك فيه ، وقيل : معناه أزلت سدافته ، وهي الحجاب ، من الموضع الذي أمرت أن تلزميه وجعلتها أمامك . القتيبي : ويكون معنى وجهتها أي أزلتها من المكان الذي أمرت بلزومه وجعلتها أمامك .[77]

[77] - لسان العرب, لابن منظور,ج15ص 161

تحرير وجه الدلالة في ذلك:

 من حيث اللغة(أنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعا ولا عرفا بل القبلة لها اسم يخصها والوجه له اسم يخصه فلا يدخل أحدهما على الآخر ولا يستعار اسمه له نعم القبلة تسمى وجهة كما قال تعالى ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا وقد تسمى "جهة" وأصلها "وجهة" لكن أُعلَّت بحذف "فائها" ك "زنة" و "عدة" وإنما سميت قبلة و وجهة؛ لأن الرجل يقابلها ويواجهها بوجهه، وأما تسميتها وجها فلا عهد به فكيف إذا أضيف إلى الله تعالى مع أنه لا يعرف تسمية القبلة وجهة الله في شيء من الكلام مع أنها تسمى وجهة فكيف يطلق عليها وجه الله ولا يعرف تسميتها وجها) [78]

 من حيث معنى الآية أن هذه الصفة لا تقال إلا لمن له صفة أصلا بذلك، فلو لم يكن له سبحانه وجه لما تعدد ذكر ذلك في القرآن والسنة، فإن الله قد قال في حال المؤمنين:(لهم قدم صدق عند ربهم)ولولم يكن لهم قدم على الحقيقة لما ذكر ذلك.

(لا يلزم من ذلك أنّ وجه الله في نفس الأجسام المستقبلة فيكون المعنى: أينما يستقبل العبد فإنما يستقبل وجه الله فإنّ الله فوق عرشه على سمواته وهو محيط بالعالم كله فأينما ولى العبد فإنّ الله يستقبله، وفيه حديث عن عبد الله بن عمر قال: (بينا النبي يصلي رأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بيده فتغيظ ثم قال: إنّ أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة). وغيره) [79]

أن من فسرها بأن معنى الآية الله سبحانه، وجهة الدعاء فإنما حمل ذلك على المعنى اللغوي لفهم النص، وهذا المعنى يأتي في المرتبة الرابعة بعد تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، وشواهد الكتاب والسنة فسرت الآية بأنها الوجه الحقيقي لله سبحانه ، وبذلك يتم الترجيح بهذا القول.

---

[78] - - مختصر الصواعق, ابن القيم,ص1011
[79] - - مشكل قوله تعالى: " فأينما تولوا فثم وجه الله", المالكي, https://vb.tafsir.net

الخاتمة

وبذلك يتبين لنا أن الإشكال الوارد في الآية ليس إشكالا حقيقيا في النص _تعالى كلام الله عن ذلك_، وأن اختلاف الأقوال حولها لا يحمل منه إنكار الصفة لدى المختلفين من أهل السنة والجماعة، فكلا الفريقين مجتهد، وعند ضم الشواهد في ذلك يتبين أن هذه الآية يستخلص منها النتائج التالية:

1) أن هذه الآية تعد من آيات الصفات.

2) أن المراد بالوجه في الآية هو الوجه الحقيقي لله سبحانه وتعالى.

3) أن شيخ الإسلام قد قرر في رده على الرازي أنه لا ينكر دلالة الآية على الصفة بل يقر بذلك.

4) أن الخلاف ليس في إثبات صفة "الوجه" لله تعالى، لأن هذه الصفة ثابتة بنصوص أخرى صريحة قطعية، لا مجال فيها لأي احتمال، وأن كلام مجاهد والشافعي وابن تيمية فيها لم يكن تأويلا ولكنه أخذ بلغة العرب، وهذا وجه من وجوه التفسير(فإني إنما أسلم أن المراد بالوجه – هنا – القبلة، فإن الوجه هو الجهة في لغة العرب، يقال: قصدت هذا الوجه، وسافرت إلى هذا الوجه، أي: إلى هذه الجهة...).[80]

هذا وأسأل الله الفقه في دينه، والإخلاص له.

---

[80] - مجموع الفتاوى (6/15)

المراجع

القرآن الكريم

1. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)،حقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

2. : إعراب القرآن الكريم: أحمد عبيد الدعاس- أحمد مُحَمَّد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، لناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق، الطبعة: الأولى، 1425 هـ

3. : لسان العرب مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ

4. أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)،المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م

5. الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م

6. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ،المحقق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ

7. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم،: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)،المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – 1419 هـ

8. تيسير الكريم المنان، لابن سعدي

9. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1416 هـ

10. رد الدارمي عثمان ابن سعيد على بشر المريسي العنيد. للدارمي ،ت ط 1358هـ

11. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

12. شرح الأصول الخمسة، عبدالجبار ابن أحمد، تحقيق عبدالكريم عثمان، الناشر مكتبة وهبة، ت ط 1416هـ

13. شرح العقيدة الواسطية: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421 هـ)الناشر: دار ابن الجوزي

14. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ)،المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية – الرياض، الطبعة: الخامسة، 1414هـ - 1994م

15. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)،المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، النشر: 1416هـ/1995م

16. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق دغش العجمي، نشر مكتبة أهل الأثر، ت ط 1437هـ

17. معالم التنزيل في تفسير القرآن ،محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ

18. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ).عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا، الطبعة: الثالثة، 1400 هـ - 1980 م

19. نقض اساس التأسيس، ابن تيمية، تحقيق موسى الدويش. الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م

20. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف (المتوفى: 1375هـ)، الناشر: مكتبة الدعوة - شباب الأزهر الطبعة الثامنة

الروابط الإليكترونية

1. إسلام ويب، لأربعاء 16 رجب 1438 - 12-4-2017 ،رقم الفتوى: 350494، /**http**://**fatwa**.**islamweb**.**net**

2. تفسير القرآن ،بن عثيمين. موقع أهل الحديث والأثر **https**://**alathar**.**net**

3. شرح كتاب المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير سورة البقرة، د. خالد السبت. **https**://**khaledalsabt**.**com**

4. مشكل قوله تعالى: " فأينما تولوا فثم وجه الله"، المالكي، **https://vb.tafsir.net**

5. معجم اللغة العربية المعاصرة، **http://www.arabdict.com**

الفهرس

المحتويات